المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠

الكمبانيل برج البندقية

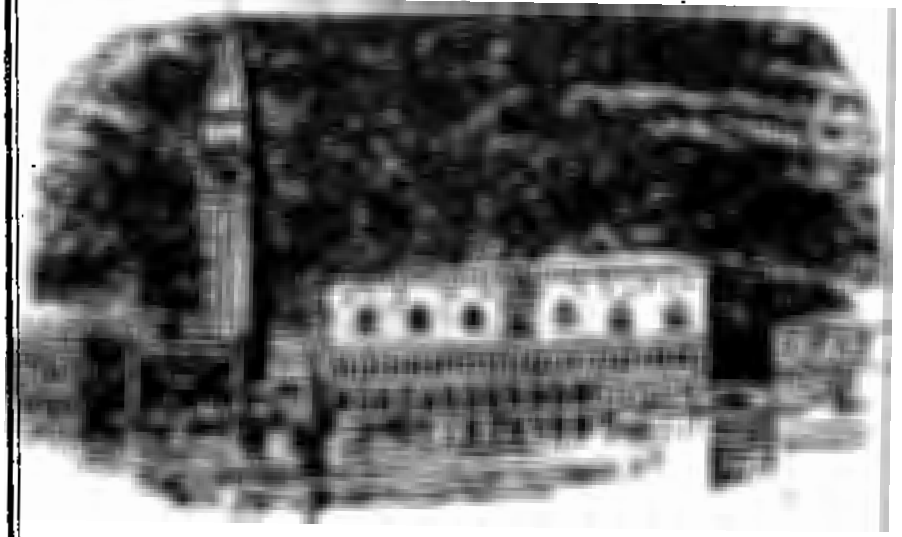

لم يخطر لنا لما وقفنا امام هذا البرج نمعن النظر في علوه الشاهق وبنائه المحكم ان سوس الدهر قد نخر اصوله وانهُ قدّر لهُ ان لا يتم عشر سنوات . ولا دار في خلدنا حينئذٍ ونحن نتأمل في وضع الملاك الواقف فوق رأسهِ انهُ سيخطُّ عنهُ ويصير الى حمى الكنيسة القائمة في جانبهِ . وقد غفلنا عن نوائب الدهر حينئذٍ فتمثلنا بقول السموأل حيث قال

رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرع لا يُنال طويلُ[1]

(١) انظر الكلام على البندقية في مشاهد اوربا في المجلد السابع عشر من المقتطف

لكن الانسان وهو سيد المخلوقات في هذه الدنيا لا يعمّر مئة عام فأحرِ بما كان من صنع يديهِ ان يكتفي بالف من الاعوام فقد كان الشروع في بناء هذا البرج سنة ٨٨٨ او سنة ٩٠٢ ليلاد ليكون علماً للشعب الذي نزل جزائر البندقية يقيم فيهِ الرقباء يرقبون البر والبحر ويقرعون الاجراس اذا دنا منهم عدو مفاجئ او اذا ارادوا الاجتماع لغرض سياسي او احتفال ديني . ومرّت سنون كثيرة قبلما بلغ القبة التي كانت فيها الاجراس الآن ثم جُددت هذه القبة سنة ١٥١٠ واقيم فوقها الهرم الذي أُوقف الملاك على رأسهِ سنة ١٥١٧

وكان ارتفاع البرج قبل سقوطهِ ٣٢٣ قدماً وطول كل جانب من جوانب قاعدتهِ ٤٢ قدماً ويصعد الى اعلاهُ على سطح مائل في داخلهِ فيشرف الواقف في اعلاهُ على اجمل مناظر الارض بحر البنادقة وخلجانهِ من الجنوب الشرقي وجبال الالب من الشمال وارباض البندقية من الغرب ويرى تحتهُ امَّ القصور والترعَ تتجلّى بما ابتنتهُ فيها القرون الوسطى من بدائع البناء والنقش وما جرى اليها من خزائن المشرق والمغرب يوم كان البنادقة قابضين على زمام التجارة وكانت اساطيلهم تناوئ اعظم دول الارض

ويقال ان احد المهندسين رأى فيهِ منذ عشر سنوات ما حسبهُ دليلاً على دنو اجلهِ فانبأ رجال الحل والعقد بذلك فلم يكترثوا لكلامهِ فزاد في حثهم وانذارهم حتى اضطروا الى تفتيشهِ لكي لا يسمعوا تقريعهُ ولما عاد من المنفى عاد الى الانذار فامرت الحكومة الايطالية بعض العمال بترميم البرج فاكتفوا بوضع "المؤونة" بين الاجر ممّا بلي القصر الملكي وباليتهم لم يفعلوا ذلك لان ما فعلوهُ اضرَّ ولم يفد كما سيجيء

وفي الثالث عشر من شهر يوليو الماضي ظهر فيهِ شق كبير فقال ذلك المهندس ان ساعة هبوطهِ قد دنت لا لتأخر يوماً كاملاً . وبعث حاكم البندقية الى وزير المعارف يخبرهُ بذلك فامر بعض المهندسين ان يذهبوا حالاً اليها ويعملوا ما يلزم عملهُ لحفظ البرج من السقوط ولكن نفذ السهم قبل ان يفعلوا شيئاً

وكتب مكاتب التيمس من البندقية في الرابع عشر من يوليو يقول ما ترجمتهُ

"سقط الكبائيل هذا الصباح الساعة التاسعة والدقيقة ٥٣ وصار كومة من الحجارة والاجر . اتيت الى الساحة (التي هو فيها) بُعيد الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً فرأيت فيها جمهوراً من الناس ينظرون الى الشق الذي ظهر فيهِ فانهُ كان قد اتّسع في الليل الماضي ثم رأيت غباراً يصعد من هذا الشق ثم سقط عمود من اعمدة القبة التي فيها الاجراس في اعلى البرج وتبعهُ الملاك المذهب وبعد لحظة سقطت قبة البرج كلها وتحطّمت الرواق الذي عند

قاعدته (وهو المعروف باسم لوجيا سنسوڤينو حيث بعض التماثيل البديعة) وبعد هنيهة سقط البرج كلهُ دفعةً واحدةً كأنهُ شيخ ادركتهُ المنيَّة فتنهَّد واسلم الروح ولم يؤذِ انساناً. الاَّ ان الجانب المحاذي للقصر الملكي الذي أُدخلت المؤونة بين اجرهِ التصقت اجزاؤهُ بعضها ببعض فسقطت قطعاً كبيرة على زاوية القصر القريبة منها واتلفت ما مساحتهُ ستة امتار من واجتهِ ولو رُمّ البرج كلهُ كذلك لاتلف بسقوطهِ القصر الملكي وقصر الدوقات والكنيسة اما وقد سقط من غير ترميم فاقتصرت الخسارة عليهِ وعلى الرواق الجميل الذي كان عند قاعدتهِ

وكان احد الاميركيين النازلين في البندقية ينظر الى اعلى البرج من فوق سقف بيت فرأى الملاك المذهب يهبط رويداً رويداً الى ان غاب عن بصرهِ وللحال علت في الجو سحابة من الغبار وهرع الناس من كل انحاء المدينة ليروا ما جرى فوجدوا انهُ لم يبقَ من البرج غير مدينتهم سوى تلة من الانقاض علوها ثمانون قدماً وهي منبسطة القاعدة حتى تمس جدران الكنيسة . ويقال ان في نية الحكومة الايطالية ان تعيد بناءهُ وتردهُ الى ما كان عليهِ تماماً وقدرت النفقات اللازمة لذلك بمئة وعشرين الف جنيه .

وقد كان لسقوط هذا الاثر وقع اليم في النفوس فقامت صحف الاخبار تعزي البلاد الايطالية كأنها فقدت عزيزاً كريماً . قالت جريدة التيمس ان امم الارض جمعاء تقدم فروض التعازي الى البندقية والى المملكة الايطالية عن هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم لان للبندقية صلةً بكل العالم المتمدن مثل رومية وفلورنسا واثينا. والالوف الذين يقصدونها كل سنة من انكلترا واميركا والمانيا تبقى ذكراها في نفوسهم حتى الممات ذكرى مدينة حافلة بآثار الماضي واعجادهِ فيشعرون بالرزء الذي حلَّ بها كأنهُ حلَّ بهم

سل البشر والبقر

في اواخر يوليو من العام الماضي قام الاستاذ كوخ في مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وخطب خطبتهُ المشهورة التي انتقلت بالبرق وبسرعتهِ الى كل انحاء العالم المتمدن وصارت منذ ذلك الحين موضوع اهتمام العلماء والاطباء وبحثهم المتوالي المدقق ليس لان المسألة ذات اهمية كبرى بحد ذاتها فقط بل ايضاً لانها تخالف معتقد كل الاطباء من حيث وحدة نوع الباشلس التدرني (ميكروب السل) في البشر وفي البقر ومن حيث امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر